

أعمال الملتقى الوطني: الأسرة الجزائرية والتحول الاجتماعي المعاصرة

قسم علم الاجتماع بالتنسيق مع مخبر علم النفس والتربية وقضايا المجتمع

جامعة جيجل 07 مارس 2023

النماذج النظرية المفسرة لدراسة الأسرة

Theoretical models explaining family studies

مقدود بشير^{*1}

¹جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي-(الجزائر) megdoud-bachir@univ-eloued.dz

ملخص: تتناول هذه الورقة البحثية "المناهج النظرية لدراسة الأسرة" والاهتمام المتزايد بين العلماء بدراسة الأسرة. كما تسلط الورقة الضوء على أهمية فهم الأسرة كوحدة اجتماعية وتطورها بمرور الوقت لفهم دورها وتأثيرها على المجتمع. حيث تتعمق الورقة في مقاربتين نظريتين رئيسيتين تستخدمان لدراسة الأسرة: الاتجاه البنائي الوظيفي، والذي يركز على وظيفة واستقرار وحدة الأسرة، والاتجاه التطوري، الذي يأخذ في الاعتبار كيف تغيرت وحدة الأسرة وتطورت بمرور الوقت. الكلمات المفتاحية: الأسرة – الاتجاه البنائي الوظيفي – الاتجاه التطوري.

Abstract: The research paper "Theoretical Approaches to the Study of the Family" explores the growing interest among scholars in studying the family. The paper highlights the importance of understanding the family as a social unit and its evolution over time, in order to comprehend its role and impact on society. The paper delves into two main theoretical approaches used to study families: the structural functional approach, which focuses on the function and stability of the family unit, and the evolutionary direction approach, which considers how the family unit has changed and developed over time

Keywords: The family , makes the functional structuralist , makes the evolutionary

1. مقدمة: بالرغم من الجهود المبذولة من علماء علم الاجتماع الأسري ببناء النماذج النظرية للإستعانة بها في صياغة نظريات في الأسرة، والاستفادة من تحليل الواقع الاجتماعي وتفسيره، اهتم آخرون بما يمكن تسميته بالأطر التصورية أو المداخل التصورية التي تحاول تفسير الوقائع عن طريق ربطها ببعض التصورات العامة عن الأسرة و المجتمع، إلا أنه يجد كثير من المشتغلين في مجال الأسرة صعوبة في تطبيق النظريات الخاصة بالعلاقات الأسرية على أعمالهم، وذلك لقلة النظريات الصحيحة في كتب علم الاجتماع الأسري، كما أن الدراسات التي تشملها هذه الكتب يغلب عليها طابع التقارير الوصفية والنصائح القياسية، وإيماننا بأهمية هذه النماذج والمداخل في ترشيد البحوث وصياغة القضايا ووضع الفروض وتفسير الواقع الاجتماعي حاولنا في هذا الفصل التركيز والتعرف على تطور الاتجاهات النظرية في دراسة الأسرة.

2. اهتمام العلماء بدراسة الأسرة:

تناول المفكرون شؤون الأسرة بالدراسة والبحث منذ القدم وعبر مراحل التفكير المنظم وذلك لما لمسوه من أهمية هذه الوحدة الإنسانية الاجتماعية في الحرص على سلامة بنيان المجتمع، فطالما كانت هذه الخلية على قدر كبير من الاستقامة والتماسك، وكانت سببا في إصلاح شؤون المجتمع واستقامة أموره ويعزو كثير من المفكرين انحلال الحياة الاجتماعية في الدول الحديثة إلى انحلال الروابط الأسرية وضعفها وتهاون المسؤولين في حل مشاكلها، والحق أننا إذا حللنا المشاكل الاجتماعية التي تواجهها أية دول نردها جميعا إلى عوامل من طبيعة أسرية، تراكمت بمضي الزمن ورسبت في الحياة الاجتماعية على النحو الذي نراه (مصطفى الخشاب 1985، ص44) فلا يمكننا على هذا النحو أن نقضي على مشاكل المجتمع ما لم نعمل أولا على حل مشاكل الأسرة وإقالتها من المحن التي تجذرت فيها، إذ لا إصلاح للمجتمع الكبير وهو الدولة إلا بإصلاح المجتمع الصغير وهو الأسرة ولهذا اهتم العلماء بدراسة شؤون الأسرة للوقوف على مبلغ الرعاية الاجتماعية اللازمة لعناصرها.

3. المراحل السوسيولوجية في دراسة الأسرة:

على الرغم من الإشارات العديدة للأسرة والزواج في الفكر الإنساني إلا أن الذي يعنينا الآن هو إلقاء نظرة سريعة على تطورات دراسات هذين الموضوعين منذ الوقت الذي أخضعتا فيه لنظام معين أو لمنهج علمي ضح وهنا نستطيع أن نحدد بشكل عام أربعة مراحل:

1.3. المرحلة الأولى:

تتميز بسيادة الفكر العاطفي والخرافي والتأملي كما يتمثل في الفكر الشعبي، وكتابات الأدباء أو التأملات الفلسفية، وتمتد هذه المرحلة حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا (مصطفى عوفي، 2003، ص136)، حيث كان الفلاسفة والكتاب الاجتماعيون يؤكدون أن المجتمع بناء يقوم على الأسر، وخصائصه محصلة خصائص العلاقات الأسرية، وخير ما يمثل هذا الاتجاه تفكير كونفوشيوس في العصور القديمة، إذ يقول: «إن السعادة تسود المجتمع إذا سلك كل فرد سلوكا صحيحا كعضو في الأسرة، وهذا يعني تأكيد أهمية التزامات كل الفرد تجاه الأسرة، وقد حفلت الكتب السماوية بالآيات التي تؤكد على أهمية

طاعة الأسرة، وتضع القواعد للعلاقة بين الأزواج والزوجات والآباء والأبناء، وقد خصص الأدباء القدامى في الهند حيزاً كبيراً من تفكيرهم لمعالجة مسائل الأسرة، ومن وقت لآخر كان الكتاب الاجتماعيون والفلاسفة الخياليون يرسمون وخطط يوتوبيا، يضمونها طرقاً جديدة لأدوار الأسرة كحل للمشاكل الاجتماعية التقليدية، وذلك كما جاء في جمهورية أفلاطون عن الأسرة المثالية، والفرص المتساوية أمام الرجال والنساء في تطوير ذكائهم وللوصول إلى غاياتهم، وقد أراد أفلاطون أن يقلل أو يلغي الروابط الأسرية التقليدية، وأراد أن يستبعد الأطفال عن أبويهم فور ولادتهم وأن يربوا تحت رعاية أفراد متخصصين (الخولي، 2018، ص 55).

3.2. المرحلة الثانية:

وتمتد من منتصف القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين، وتتميز بعدد من الأفكار التي تميل لتطبيق الأفكار التطورية على ميدان الأسرة والزواج، ولهذا كانت أه موضوعات البحث تدور حول الإجابة عن عدد من الأسئلة مثل هل المجتمعات الإنسانية من حيث الأصل تأخذ بنظام الوحدانية في الزواج؟ (عبد العاطي وآخرون، 2002، ص 03)

مع العلم أن أفكار داروين أوحى إلى المفكرين الاجتماعيين أنه من الممكن أن تتطور أشكال ونظم الحياة الاجتماعية بنفس الطريقة التي تتطور بها الكائنات البيولوجية.

3.3. المرحلة الثالثة:

وتقع كلها تقريباً في القرن العشرين وحتى منتصفه وفيها انتقلت دراسة الأسرة من الاهتمام بالماضي إلى دراسة الواقع، ومن البحوث غير المحددة والواسعة النطاق إلى استخدام المناهج العلمية في تناول مشكلات أكثر تحديداً، وركزت هذه المرحلة على دراسة العلاقات الداخلية بين أفراد الأسرة متأثرة في ذلك بعلم النفس، كما ظلت دراسة المشكلات الاجتماعية تشغل خلال هذه الفترة مكانة جوهرية، وظل الإطار النظري الأساسي هو نفسه إلى حد كبير، أما المناهج ومواد الدراسة فقد تغيرت، إذ توفرت مصادر للبيانات والمعلومات أكثر ثراء من ذي قبل، عن طريق الوثائق الرسمية وسجلات الهيئات الخاصة، في الوقت الذي نمت فيه المناهج وطرق البحث، مع ازدياد الفصل بين العلم والأخلاق والاهتمام بأساليب التحقيق الأميريقي لا المنطقي فحسب، إلى جانب ارتفاع مكانة المناهج الكمية (محمد الجوهري وآخرون، 1960، ص 31).

ومنذ الحرب العالمية الثانية تعاظم الاهتمام بالحياة الأسرية عن طريق تدعيم القوانين المنظمة لها وخلق نمط جديدة تتلاءم مع متطلبات التغيرات السريعة في المناطق الحضرية الصناعية إلى جانب تطوير الأسرة الريفية لرفعها إلى المستوى العصري .

4.3. المرحلة الرابعة:

وهي الممتدة حتى الآن، وتتميز بتزايد الاهتمام بالنظرية وتعميق الدراسات الكمية ولكن بطريقة أكثر منهجية، علاوة على محاولات جادة لتجميع وتقييم البحوث التي أجريت في الماضي وتحديد المدارس الفكرية المختلفة أو الإطارات المرجعية النظرية التي استخدمت في دراسة الأسرة كما تتميز هذه المرحلة بتحديد المجال، واختفاء الأحكام القيمية واستخدام أكثر من أسلوب واحد من أساليب التحليل المدعم إحصائياً (سنة الخولي، 2002، ص 140).

وهكذا نستطيع أن نستخلص أن الدراسات الأسرية في تطورها تعكست طور التفكير الاجتماعي من العمومية إلى التخصص والتحديد، ومن الأصول الفلسفية والدينية إلى العلمية والمنهجية، ومن الوقوف عند الماضي بحثاً عن نقطة البداية إلى تأكيد الحاضر، ومن الدراسة التجريدية إلى الدراسة الأمبيريقية، كما تعكس النمو الذي يتزايد ظهوره في علم الاجتماع نفسه، من الاهتمامات العامة إلى الاهتمامات المحددة، ومن الكل إلى الجزء دون إهمال النظرة الشمولية في نهاية الأمر (الخولي، 2018، ص 58).

وهكذا تكشف الدراسات الأسرية المعاصرة عن موضوعات جديدة مثل الدور والمركز والزواج والطلاق والقوة والتنشئة الاجتماعية والتغير في البناء والوظيفة، وهكذا ...

من أكثر الملاحظات صدقاً في هذا الصدد، أن المداخل الحديثة في دراسة الأسرة ليست جديدة كلية، وإنما تمتد جذورها في المداخل والنظريات القديمة، لكنها مع ذلك تكشف عن نمو متزايد من حيث السلامة المنهجية وعمق التحقيق الأمبيرقي ودقة النتائج، وزيادة قيمتها العلمية التي نستند إلى وضوح الفروض وتنمية أدوات البحث إلى جانب الكفاءة الفنية والاتجاه نحو إثراء النظرية العلمية السوسيولوجية بوجه عام (سنة الخولي، 2018، ص 59).

وقد استغرق دارسو الأسرة وقتاً طويلاً قبل أن يدركوا وجهة النظر العلمية، وربما كان هذا الوقت أطول بالقياس إلى بعض العلوم الاجتماعية الأخرى ولو أننا نعلم أن العلوم الاجتماعية كانت أبطأ في نموها العلمي من العلوم البيولوجية أو الفيزيائية، إن ما يميز دراسات الأسرة في الوقت الحالي، مثل أي دراسات أخرى تجري في ميدان علم الاجتماع هو زيادة الاهتمام بالمنهج العلمي حيث أصبح الاتجاه في هذه الدراسات يسير نحو استخدام عينات أكثر تمثيلاً وازدياد الاعتماد على الإحصائيات في تحليل المادة مع زيادة مصاحبة في الاعتماد على الملاحظة المباشرة في جمع المادة على الرغم من الاستبيانات التي ما زالت أكثر الوسائل انتشاراً، مع ما فيها من مثالب. وهذا إلى جانب التأكيد المستمر على اختيار الفروض الموضوعية نظرياً واتخاذ المواقف التحليلية ذات الطبيعة الإحصائية، ويلاحظ أن البناء المنهجي للنظرية أصبح يمثل اهتماماً رئيسياً في دراسات الأسرة في المرحلة التي بدأت حوالي 1950، وربما كان هذا الاهتمام بالنظرية هو الاتجاه الأكثر بروزاً في المرحلة الراهنة من تطور علم الاجتماع العائلي (محمد جوهر وآخرون، 1960، ص 311).

4. الاتجاه التطوري:

ظهر المذهب التطوري في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وظهر كعقيدة أيديولوجية اعتنقها بعض الباحثين وأصبحت متغيراً أساسياً في الحرب الباردة بين الاشتراكية والرأسمالية، وصلت مواجهاتها إلى الجامعات الأمريكية التي كانت رفض التطورية وتقاومها، بينما احتضنتها الاشتراكية باعتبارها مؤيدة لطروحاتها نحو التغير.

وقد استندت التطورية في تحليلها إلى محاكاة تطور البنى الاجتماعية بتطور العناصر الطبيعية، فالأسرة والدين والثقافة وغيرها تمر بمسار تطوري يختلف من مرحلة الأخرى، فكما تطور الإنسان من سلالة القرود فالدين يتطور من تعدد الآلهة إلى وحدانية الآلهة، والمجتمع يتطور إلى أن يصل إلى المجتمع الإنساني،

وتطور النظام الأسري من المشاعية النظام العشائري وتعدد الأزواج والزوجات إلى الأسرة النواتية(قاسمي، 2017، ص136).

ويرجع بعض علماء الاجتماع بداية هذا الاتجاه النظري، الذي تأثر بالمذهب العضوي، إلى عام 1906، عندما قام أحد الباحثين الإنجليز ويدعى ب. راونترى بدراسة علاقة دورة حياة الأسرة بظاهرة الفقر بين الأسر الفقيرة، واستنتج أن الأسرة الفقيرة تعاني في المرحلة الأولى من تكوينها من الفقر المدقع لكونها تعول أطفالاً صغاراً، ثم تتحسن ظروفها الاقتصادية، وتتمتع بقدر من الرخاء في المرحلة الثانية، عندما يكبر الأبناء ويصبحوا قادرين على العمل والكسب، فيسهموا في تحسين دخل الأسرة، ولكن ما إن يغادروها لتأسيس أسر خاصة بهم، ويتقدم عمر الوالدين حتى تحل بها فترة ثانية من الفقر (أحمد سالم الأحمر، 2004، ص30).

وعلى الرغم من اتفاق علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، الذين درسوا الأسرة أو العائلة في إطار هذا الاتجاه، على أن الأسرة أو الجماعة العائلية تمر خلال مسيرة حياتها بعدد من المراحل، فإنهم يختلفون في كيفية تحديد هذه المراحل، وما يحدث فيها من أحداث وما يخطر على الأسرة أو العائلة خلالها، من تغيرات. ويرجع هذا الاختلاف أساساً إلى اختلاف المجتمعات والثقافات التي تنتهي إليها الأسر والعائلات التي تناولوا بالبحث والدراسة فبينما اهتم الأنثروبولوجيون بدراسة مراحل تطور الأسرة داخل الجماعة العائلية في إطار عام تتداخل فيه هذه المراحل، وركزوا على تحليل ما بصاحب عملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى من شعائر وطقوس تعبر عن مكانة التي يحتلها الشخص في كل مرحلة من مراحل حياته وتطور أسرته في المجتمعات البدائية، ركز معظم علماء الاجتماع المهتمين بهذا المجال على ربط مراحل تطور الأسرة بالمراحل الدراسية التي يمر بها الأطفال، وذلك لأهمية هذه المراحل الدراسية في حياة الفرد، وتحديد مكانته الاجتماعية، وعلاقاته الأسرية في المجتمعات الصناعية، وبصفة خاصة الغربية (الأحمر، 2004، ص34).

ويعتبر هنري مورجان أحد أهم المفكرين الذين تأثروا بالنزعة التطورية، فقد قدم في مؤلفه (أنظمة القرابة و المصاهرة في الأسرة البشرية - 1869) عرضاً لـ 139 نسقاً قرابياً من أجزاء مختلفة من العالم، واستخلص منها أن كل أشكال الحياة الأسرية لها نفس الخصائص وتؤدي نفس الوظائف وتتطور على نفس المنوال، بصرف النظر عن اختلاف السياق الاجتماعي المحيط بها (زايد وآخرون، 1998، ص10).

فيما نسبت عالمة الاجتماع الأمريكية المعروفة إيفلين دوفال مراحل دورة حياة الأسرة إلى ثمانية مراحل تطورية، وحللت مضامين كل مرحلة وما تحتوي من تغيرات و عملياتا تكيف بشيء من التفصيل، موضحة ما تقوم به الأسرة في كل مرحلة من مهام وواجبات من أجل إشباع حاجات أبنائها الجسدية والعاطفية، والثقافية، والاجتماعية (أحمد سالم الأحمر، 2004، ص30) وهذه المراحل هي:

- المرحلة الأولى : تبدأ من زواج الخطيبين وتنتهي قبل ميلاد الولد الأول (أي أسرة تضم زوجين بدون طفل).

- المرحلة الثانية : تبدأ من ولادة الولد الأول وتنتهي لغاية بلوغه السن 30 شهرة (أي أسرة تضم زوجين وطفل).

- المرحلة الثالثة : تبدأ من قبل دخول الأبناء للمدرسة وتنتهي لغاية بلوغهم سن الستة أعوام (أي أسرة من زوجين وأبناء تتراوح أعمارهم من عامين ونصف وتنتهي لغاية ستة أعوام).
- المرحلة الرابعة : تبدأ من دخول الأبناء للمدرسة وتنتهي لغاية بلوغهم سن 13 عامة (أي أسرة تضم زوجين وأبناء تتراوح أعمارهم من 6 أعوام ولغاية 13 عام).
- المرحلة الخامسة : تبدأ من مرحلة المراهقة 13 عام وتنتهي لغاية بلوغ الأبناء سن العشرين عام (أي أسرة تضم زوجين وأبناء تتراوح أعمارهم بين 13 وتنتهي لغاية 20).
- المرحلة السادسة : تبدأ من مغادرة الابن الأول لأسرته والعيش بعيد عنها وتنتهي بمغادرة الابن الأخير لها .

- المرحلة السابعة : التي تبدأ من مرحلة العش الفارغ وتنتهي إلى مرحلة تقاعد الزوجين أو إحالتهما على المعاش.

- المرحلة الثامنة : تبدأ من تقدم عمر الزوجين نحو الشيخوخة وتنتهي بوفاة أحدهما أو كلاهما.

حيث أوضحت إيفلندوفان محتوى كل مرحلة من المراحل وما تنطوي عليه:

1.4. المرحلة الأولى: قسمت إيفلين مساحة هذه المرحلة إلى شطرين، يبدأ الأول من زواج الخطيبين وينتهي بمعرفتهم بحمل الزوجة أطلقت عليه الشطر التأسيسي، والثاني أسمته بالشطر التوقعي أو شطر الانتظار الذي يبدأ من فترة معرفة أو علم الشريكين بالجمال لغاية ميلاده. يعرض هذا الشطر الشريكين لمهام جديدة توجههم بتحملها ومواجهتها مثل جمع المعلومات و استقصائها عن الحمل والولادة والأمومة من الأصدقاء والأقارب والزملاء (معن خليل السمر. 2016، ص41).

ففي الشطر الأول، يواجه الشريكان مهام تختلف عن المهام الشطر الثاني مثل امتلاك منزل لهما، مدخولات الأسرة ومصاريفها، أنماط عمل كليهما داخل المنزل ومن يحاسب الآخر على إنجاز أعماله، الإرضاء المشترك في علاقتهما الجنسية، أنساق التفاعل العاطفي والفكري، العلاقات القائمة مع الأقارب، نمط التفاعل مع الأصدقاء والزملاء والمجتمع المحلي، فلسفة الحياة القائمة (انه الشطر التأسيسي).

5. الاتجاه البنائي الوظيفي:

هو يدرس الأسرة كنسق اجتماعي مكون من أجزاء يرتبط بعضها ببعض عن طريق التفاعل والتساند الوظيفي، ويعتبر كل جزء مؤديا لوظيفة في النسق الكلي أو معوق للنسق، وقد استخدم بيل Bell وفوجل Vogel هذا الإطار المرجعي في دراستهما للأسرة موضحين أهمية العمليات الداخلية في الأسرة والعلاقات التي تربط بين نسق الأسرة والأنساق الاجتماعية الأخرى (اجلال حلي. 2016، ص69).

وينقسم الدارسين للأسرة في إطار النظرية البنائية الوظيفية إلى اتجاهين :

اتجاه يهتم بالتحليل على مستوى الوحدات الكبرى Macro Fonctionnalisme، بينما الثاني يركز في تحليله على الوحدات الصغرى Micro Fonctionnalisme، أي في الوقت الذي يهتم فيه الاتجاه الأول بالأسرة كمؤسسة داخل المجتمع الكبير، يهتم الثاني بالعمليات الداخلية للحياة الأسرية. إلا أن كلا الاتجاهين يركزان

على العلاقة المتداخلة بين الأسرة والبيئة المحيطة بها، وينظران إلى الأسرة على أنها كيان أو مؤسسة عرضة دائماً للتأثر بالبيئة الخارجية (دراوش، 2013، ص103).

حيث تعتمد البنائية الوظيفية على عدة مسلمات مترابطة ومتداخلة هي:

- إن المجتمع ما هو إلا نسق يضم مجموعة من العناصر المتساندة التي تسهم في تحقيق تكامله، وبذلك تعتبر الأسرة نسقا اجتماعية (Social System) يتكون من أفراد يرتبطون بعضهم ببعض عن طريق التفاعل والاعتماد المتبادل.

- لكل نسق احتياجات أساسية لا بد من الوفاء بها وإلا فإن النسق سوف يفنى أو يتغير تغيرا جوهريا وبذلك فإن الأسرة نظام اجتماعي لتنظيم السلوك الجنسي والإنجاب ورعاية الأطفال (إجلال حلمي، 2016، ص70).

- لكي يكون النسق في حالة التوازن المستمر (Equilibrium) لا بد أن تلي أجزاؤه المختلفة احتياجاته الأساسية لذلك يجب على الأسرة إنجاز المطلوب منها من منح المكانة لأفرادها والإمداد بالطعام والمأوى والملبس والتنشئة الاجتماعية للأبناء للمحافظة على النظام وخفض الصراع بين الأفراد وغيرها من الإنجازات التي تؤدي إلى بقاء الأسرة في حالة توازن.

- وكل جزء من أجزاء النسق قد يكون وظيفيا (Functional) أي يسهم في تحقيق توازن النسق، ومن المتوقع أن يشهد النسق بعض الانحرافات والتوترات والمعوقات الوظيفية التي تحول دون أداء وظائفه على النحو المرغوب فيه، وبالنسبة للأسرة فيما أنها تقوم بإشباع حاجات كل من الفرد والمجتمع فهي إذن وظيفية بالنسبة لكل منهما ولكنها إذا تعرضت لأزمات داخلية أو خارجية فهي تصبح غير قادرة على أداء وظائفها على النحو الأكمل (إجلال حلمي، 2016، ص71).

من هنا، فإن الأسرة ليست بناء مستقلا مغلقا ومنعزلا، ولكنها نسق داخل البناء لها وظائفها وأدوارها التي يركز عليها الوظيفيون كثيرا، والتي تهدف في النهاية إلى تحقيق توازن الأسرة واستمرار النظام. ويعتبر جورج ميردوك أحد رواد هذا الاتجاه، وقد حلل الأسرة بنائيا ووظيفيا، من خلال توضيحه للقواعد الأساسية المحددة لطبيعة البناء الأسري عامة، وتشتمل على قواعد: الزواج (أحادي أو متعدد)، النسب (القربة حقوقها وواجباتها)، الإقامة (بتوفر عنصر الاختيار أو عدمه)، ونسق لمصطلحات القربة تحدد العلاقات كالمصاهرة وغيرها.

كما قام ميردوك في الأربعينيات من القرن العشرين، بإجراء مقارنة لبيانات كانقد جمعها من 250 مجتمعا بشريا من مختلف أنحاء العالم مرتكزة على الالتقاء الثقافي لهذه المجتمعات، فوجد أن للأسرة كبناء له وظائف قاربت أغلبها على الانسحاب من الأسرة كمصدر رئيسي لأدائها، قائلا: "الأسرة جماعة اجتماعية بشرية عالمية بمعنى أن للأسرة وظائف تقوم بها ووظائف ما زال عليها القيام بها من منطلق كونها أفضل مؤسسة يمكن أن تساهم في استمرار الوجود الإنساني للمجتمعات وتخلص الوظائف الرئيسية التي حددها ميردوك للأسرة في وظيفة التنشئة الاجتماعية، ووظيفة التعاون، ووظيفة الإنجاب، ووظيفة الإشباع الجنسي (George P, Murdock, 1949، ص12).

وكل ما سبق يتحقق في إطار منظومة قيمية هدفها الحفاظ على الأطر التقنية التي تحمل القيم الموجهة للسلوك الأسري ضمن نظام يؤدي وظائف متكاملة غير أن تلك الوظائف الأربعة التي حصر فيها ميردوك الأسرة كنسق عليه القيام بها لضمان استمرار وجوده ضمن البناء الاجتماعي الكبير (المجتمع)، قد أصابها الفتور إن لم نقل يكاد يسحب بعضها من الأسرة، بمعنى أن الأسرة قد تحقق تكيفا ونجاحا داخل المجتمع بوظيفتين فقط وهما الإشباع الجنسي والإنجاب، تاركة الوظيفة الاقتصادية للمؤسسات الإنتاجية الأخرى، والوظيفة التربوية ظهرت مؤسسات كالأسر، كالمدرسة، والمؤسسة الدينية، وتقوم بتمرير ما كانت تمرره الأسرة لأفرادها من قيم وثقافة ومعايير توجه السلوك الإنساني.

كما نشير هنا إلى وجهة نظر أرنست برجس أحد مفكري مدرسة شيكاغو، والذي يرى أن التغيرات البنائية العامة التي حدثت وتحدثت في المجتمع الاجتماعي، تنعكس على نمط الأسرة وعلى طبيعة التفاعل داخلها، فتلك التغيرات أدت إلى تحليل الأسرة كمؤسسة تؤدي وظائف عديدة، فلم تترك هذه التغيرات للأسرة إلا وظيفة تحقيق السعادة والتكامل الشخصي للأفراد ولذلك فإنها لم تعد مؤسسة بقدر ما أصبحت رابطة صداقة (زايد وآخرون، 1998، ص15).

أما عالم الاجتماع الأمريكي تالكوتب ارسونز فقد نظر إلى الأسرة بوصفها نسقا اجتماعيا (الخولي، 2011، ص36)، ففي منتصف القرن العشرين تعتبر دراسته للبناء الوظيفي للأسرة مثالا حيا لتحليل نسق الأسرة في ضوء الاتجاه البنائي الوظيفي، مؤكدا علاقة الأسرة بالوحدات الاجتماعية الكبرى، وعلاقتها بالوحدات الفردية الصغرى والعلاقة بين الأسرة و الشخصية، ولا نستطيع ونحن في الألفية الثالثة أن نستعرض تحليل بارسونز للبناء الوظيفي للأسرة الأمريكية في منتصف القرن العشرين دون توضيح للتغير الذي حدث في بناء الأسرة الأمريكية ووظائفها، خاصة ما يتعلق بتوزيع الأدوار على أفراد الأسرة، يرى بارسونز أن يختص الزوج بالأدوار الوظيفية التي تربط الأسرة بالعالم الخارجي، وأما الزوجة فتختص بالأدوار المعبرة نتيجة للسمات البيولوجية التي تنفرد بها وهي الإنجاب والرضاعة، وإن طبيعة هذه الأدوار تجعل المرأة مسؤولة عن تحقيق الثبات والاستقرار الداخلي للأسرة والعناية بالأطفال وتوفير النواحي عاطفية لزوجها.

ويؤكد ذلك ما ذهب إليه بارسونز في نظريته عن النسق الاجتماعي حيث ذهب أن لكل مستوى من مستويات الأنساق الاجتماعية مشكلاته النوعية التي تميزه عن غيره من الأنساق، فعندما تحدث بارسونز عن طريقة عمل النسق الاجتماعي، ذكر بأن كل نسق لابد أن يجد حلا لعدد من المشكلات أو أن يواجه على الأقل أربع مشكلات أو شروط أساسية لكي يستمر في البقاء. وقد أطلق بارسونز على هذه المشكلات أو الشروط اسم الملامات الوظيفية وهي: التكيف، تحقيق الأهداف، التكامل والمحافظة على بقاء النمط وامتصاص التوتر (إجلال حلمي، 2016، ص70).

ويشير التكيف إلى ضرورة تكيف الأسرة أو تلاؤمها مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تعيش فيها، فالتبادل بين الأسرة والاقتصاد يكون عن طريق التحاق فرد أو أكثر من أفراد الأسرة بالعمل في مقابل الحصول على أجر، ومعنى هذا أن الأسرة تواجه مشكلة التكيف بمقابلة ظروف الاقتصاد عن طريق العمل واكتساب المهارات والتدريب المتخصص... إلخ.

أما تحقيق الهدف، فيشير إلى الفهم الأساسي والموافقة العامة على أهداف الأسرة ككل، فجميع الأنساق الاجتماعية بما فيها الأسرة في حاجة إلى سبب للبقاء أو للوجود.

ويهتم التكامل على العكس من التكيف وتحقيق الهدف بموضوعات داخل النسق، فهو يشير بصفة مبدئية إلى العلاقات بين الوحدات أو الأجزاء داخل النسق، ومن هذه الزاوية ينظر إلى المجتمع المحلي باعتباره نسقا فرعيا من المجتمع الكبير، كما أن التأثير المتبادل بين الأسرة النواة والمجتمع المحلي يبدو في مشاركة الأسرة في الأنشطة الصناعية أو الاجتماعية أو الدينية (قطوش، 2017، ص 07).

أما المحافظة على بقاء النمط على الموقف الداخلي في النسق الاجتماعي (الأسرة)، فهو يهتم بالأفراد لفاعلين وتوقعاتهم وإيديولوجياتهم وقيمهم، فقد يعاني الفرد من صراع الدور أو اللامعيارية .

وتكون الأسرة في هذه الحالة هي المسؤول الأول عن مواجهة هذه المتطلبات، حيث تمتص التوتر وتعطي الوقت وتمنح الاهتمام من داخل عملية التنشئة الاجتماعية لأعضائها، بحيث تطبعهم تبعا للأيديولوجيات والقيم الخاصة بالنسق، وعلى ذلك تصبح الأسرة أصغر وحدة اجتماعية مسؤولية عن المحافظة على نسق القيم. (الخولي، 1984، ص 149)

6. قائمة المراجع:

الخشاب، مصطفى. (1985). دراسات في الاجتماع العائلي، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
عوفي، مصطفى. (2003). خروج المرأة إلى ميدان العمل وأثره على التماسك الأسري، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 19، من 123 إلى 136.

الخولي، سناء. (2018). الأسرة في عالم متغير، الإسكندرية: دار المعرفة المعرفة الجامعية.
السيد، عبد العاطي وآخرون. (2002). الأسرة والمجتمع، مصر: دار المعرفة الجامعية.
الجوهر، محمد وآخرون. (2018). ميادين علم الاجتماع، القاهرة: دار المعارف.
الخولي، سناء. (2002). الأسرة والحياة العائلية، الإسكندرية: دار المعارف الجامعية.
قاسمي، ناصر. (2017). معجم مصطلحات علم اجتماع العائلة، القاهرة: دار الكتاب الحديث.
سالم الأحمر، أحمد. (2004). علم اجتماع الأسرة بين التنظير والواقع المتغير، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.

زايد، أحمد وآخرون. (1998). الأسرة والطفولة دراسات اجتماعية أنثروبولوجية، مصر: دار المعرفة الجامعية.

معن، خليل العمر. (2016). علم اجتماع الأسرة، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
حلي، إجلال إسماعيل. (2016). علم اجتماع الزواج والأسرة رؤية نقدية للواقع والمستقبل، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، دراوش، رايح. (2013). علم الاجتماع العائلة، الجزائر، دار الكتاب الحديث.
خولي، سناء. (2011). الأسرة والحياة العائلية، مصر: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
قطوش، سامية. (2017). الأسرة في زمن العولمة، الجزائر: دار الخلدونية.

George P, Murdock, social structure, Newyork, Macmillan, 1949